

قضية القراءات

تعرض الدارة دائما
وكالمهد بها أن تقدم
لقارئها كل دراسة
هادفة تتناول قضية
التراث العربي
الاسلامي باعتبار هذا
الموضوع من أهم القضايا
التي شغلت العلماء
والمتخصصين في مجالات
الفكر والادب والتراث

للمكتبة
عبد الوهاب عبد السلام أبو النور

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل لله ، نعمله ونستعينه ونستغديه ونستغفره . ونسود
بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل
له . ومن يضل فلا هادي له . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له . وأن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وسلم ،

أما بعد ..

فإن قضية التراث العربي الإسلامي من أهم القضايا التي شغلت
المتفكرين والعلماء والمفكرين في العصر الحديث . ومنذ بدأ اتصالنا
بالحضارة الغربية الحديثة ولا تزال حتى الآن حية متجددة ، لما
كان لهذا التراث من قيمة في الماضي . ولما له في الحاضر والمستقبل
من أهمية قصوى ، إذ هو يمثل قيما ثابتة هي الملجأ والملاذ للامة
الإسلامية .

وقد كتب من التراث الكثير ، وقيل منه الكثير ، وكان موضوعا
لمناقشات حامية بين المثقفين ورجال الفكر . وقد حاول مخلصون من
أبناء الدنيا ، مدفوعين بدافع الحب والعصاة له ، العمل على خدمته ،
بالتنشر والتحقيق تارة ، ودراسة موضوعاته تارة أخرى ، كما كان جزءا
من نشاط بعض الهيئات والمؤسسات العلمية . وقد بذل هؤلاء جميعا
الجهود في سبيل الوصول بامترات إلى الصورة التي نرشحها له .

ورغم هذه الجهود والمحاولات فتمة حقيقة عامة يجدر ألا تنفك من
بالنا . وهي أن الأعمال السابقة ، على قيمتها وجدواها ، لم تعمل بالتراث
إلى ما نرجوه ونبرجوه له بصورة ، فالكثير من أجزائه ليس بين أيدينا الآن
إذ تفتتبه مكتبات أجنبية في الشرق أو في الغرب . أو تحويه مكتبات
الأفراد . ولم توضع بعد خطة شاملة لجمع وفهرسته . ونشره
وتحقيقه وخدمته . وهذا من شأنه أن يعطل أجرام الدراسات العلمية المتفتاة
والتي تؤدي إلى الكشف من كنوزه .

إن ما نود أن نذكره الآن هو أن حالة تراثنا الفكرى وقصور الجهود

التي تبدل لغدمته بجمالان من الضروري إعادة طرح قضاياها على الملتصام والباحثين والمفكرين ولذلك فرغم كل ما كتب عن التراث فنحن نعيد طرح قضيتنا من زوايا نرجو أن تكون جديدة وأن تغطي جوانب لم يتطرق إليها الباحثون أو لم يعطوها ما هي جديرة به من أهمية ، فهو طرح جديد لقضية قديمة • ونحن نستهدف بذلك تحقيق عدة أمور :

أولاً : توضيح أهمية التراث في وصل ماضي الأمة ، وببساطة أن قيمته لا تتركز على قيمة دينية ولغوية فحسب ، ولا تبني على الحماة له فقط دون قلعة موضوعية ، بل أن له دوراً حيويًا في حياة الأمة الإسلامية في الحاضر والمستقبل •

ثانيًا : اسماع صوت التراث للناس ، ففي عصرنا الحاضر تغلب أصوات أخرى كثيرة بحيث ضاع أو كاد صوت المحدثين عن التراث في خضم هذا الزحام • فلا عجب إذا وجدنا أن الكثيرين ممن يدخلون في عداد المثقفين والغالبية من الشباب لا يكادون يعرفون عن التراث الكثير أو القليل ، ولا يكادون يعرفون عن أعلامه شيئاً • بل أن البعض منهم قد يتخذ من غزابة اسمائهم موضوعاً للهزء والسخرية والتندر • بينما هم في ذات الوقت يعرفون أدق التفاصيل والتفاصيل عن نجوم الأدب والفن والرياضة في الشرق أو الغرب ممن لا ينتمون إلى بيتنا ولا يكونون أدنى قدر من وجداننا • وهي غربة للتراث بين أهله لا ترضى محبيه العارفين لقدرة الحريصين على مستقبله •

ثالثاً : يرتبط بالنقطة السابقة ضرورة تعريف الشباب بقيمة الترسات وتعريفهم بأسلافهم العظام ، حتى يأخذوا منهم القدوة والاسوة والمثل ولا يلتصموا من أعلام في الشرق أو في الغرب ، وحينئذ يدركون أن أعلامهم كانوا ، وبكل المقاييس ، ممن تفخر بهم أية أمة ، وتزدان بهم أية حضارة •

ولا شك أن هذا يعطيهم الثقة بأنفسهم ويؤكد أن التقدم ممكن ما امتلك الإنسان أسبابه ، وأنه ليس حكرًا لجنس أو شعب ، بل أن العلم يدين للجهد والعمل المثبتين من الأيمان •

رابعاً : ويرتبط بهذا أيضاً توجيه انظار شباب الباحثين إلى قيمة التراث

وأصالته وخصويته ، وإلى جدوى البحث فيه والتلقيب عن كنوزه ، بما في ذلك من قيمة علمية محققة ترضى كرامة الباحث ، حتى لا تغلبهم موضوعات أكثر بريقاً ولمعاناً . كذلك من الضروري في هذا الصدد توجيه انتقادات التربويين والقاتنين على أمور التعليم في المدارس والجامعات إلى ضرورة توجيه الدراسة إلى جوانب التراث في كل مجالات العلم التي كان لسلطانها إسهام فيها ، أحياء لهذا التراث من جهة وحتى لا ينقرض المشتغلون به من جهة أخرى .

خاصة : وضع خطة شاملة لمصر التراث وفهرسته وجمعته ، ثم نشره وتحليله وصدسته ، ثم دراسته الدراسة العلمية المتفائة التي تكشف عن جوانب القوة والاسالة فيه ، وهي خطة تتضمن عناصر وأبعاد جديدة تكون في مجموعها برنامجاً متكاملًا ، يمكن إذا تحقق أن يصل بالتراث أو ما نرجوه له من خير .

هذه هي الأهداف التي نتوخاها من إعادة طرح قضية التراث راجين أن نوفق إلى إثارة الاهتمام بهذه القضية وأن تلقى ما هي جديدة به من الدراسة والاستجابة .

أبعاد التراث :

قد يكون من المفيد أن تبدأ بتحديد مفهوم واضح للفظ التراث من طريق توضيح أبعاده . ذلك أن كلمة تراث تعني مفهومًا واسعًا ، يضم كل نتاج الحضارة من علم وفكر وفن وأثار ولكن هل هذا هو المفهوم الذي يعنيه المشتغلون بالتراث ؟ إن كلمة تراث تعني عند المشتغلين به المخطوطات العربية التي تضم التراث الفكري العلمي فقط .

وفي هذا الصدد نجد أن التراث ينسب في أبعاد : زمانية ومكانية ولغوية . وهي أبعاد مترابطة أشد الارتباط ، بل ربما كانت مستتجة كل الاستنتاج .

فمن الناحية الزمنية يضم التراث نتاج القرون التي شهدت النشاط العقلي للامة العربية الاسلامية قبل بدء العصر الحديث ، وهي قرون قد

تزيد أو تنقص بحسب التعديد الزمني لمصور الازدهار ، وقد تتسع حتى تستوجب كل الانتاج الفكري المخطوط قبل دخول الطباعة الى الوطن العربي وانتشارها .

ومن الناحيتين اللغوية والمكانية يمكن أن يشمل التراث كل ما انتجه سكان الدولة الاسلامية في اقصى الساع لها . وقد كانوا اجناسا ولغات وديانات متعددة . وهنا يمتزج البعد المكاني بالبعد اللغوي ، فبعض المسلمين ألفوا أو كتب بلغات أخرى غير العربية كالفارسية والأردية والتركية . كما أن بعض النصارى واليهود من القاطنين في بلاد الدولة الاسلامية كتبوا مؤلفاتهم بالعربية في علوم مثل الطب والفلسفة والكيمياء والفلك والرياضيات ، وخاصة في بداية عصر النقل والترجمة حيث قام بها في أول الامر مسيحيون من سكان الدولة . وقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للإسلام ، ولكنها كانت كذلك اللغة العلمية والأدبية ، لغة التعبد والتدوين والكتابة يصرف النظر عن الأصول العرقية أو اللغوية أو الدينية لسكان الدولة الاسلامية ، فكتب بها المسلم والتصواني وكتب بها العربي والفارسي والتركي وغيرهم . وظل الحال كذلك حتى ظهرت من جديد المصيبت القديمة لغوية كانت أو عرقية، وبدأت تطلب من جديد النزعات الاقليمية بعد أن كان سكان الدولة منصهرين في بوتقة واحدة . وهنا ظهرت مؤلفات بلغات اسلامية أخرى غير العربية ، وأنتج فيها انتاج بعد موازها للانتاج باللغة العربية .

وان التراث العلمي للإسلامية يمكن ولا شك أن يتضمن ما أنتج بلغات أخرى غير العربية ولكن هل تكون على قدر كاف من الواقعية ، اذا تحدثنا عن جميع التراث الفكري باللغة الأردية مثلاً ، في حين أن التراث العربي الذي تضمنته مخطوطاتنا لا يزال مشتتاً في أنحاء العالم ، أظن أن الأفضل أن نتحدث في المرحلة العاصرة عن المخطوطات العربية ، خاصة وأن الانتاج الفكري العربي هو التراث الاصيل في الموضوعات العربية والاسلامية ، وهو الذي اعتمدت عليه اللغات الاسلامية الاخرى ، فهو المادة الاصلية وتراث اللغات الاخرى هو المادة الثانوية .

ومما يثار عند الحديث عن ابعاد التراث العربي الثلاثية : الزمان

والمكان واللغة : الدراسات الحديثة في الموضوعات القديمة ، سواء أكانت عربية أم أجنبية ، فالدراسات العربية الحديثة ، وإن كانت تنتمي مكانا ولغة الى نفس المكان الذي قطنه السلف ، والى نفس اللغة التي كتبوا بها ، إلا أن هذه الدراسات لا تدخل من حيث الزمان في التراث ، كما أن هناك دراسات حديثة أهداها أجانب ، والمستشرقون منهم بصفة خاصة ، وهذه لا تدخل في التراث زمانا أو مكانا أو لغة ، فهل نستبعد هذه وتلك ؟

مما لا شك فيه أن الدراسات الحديثة في موضوعات التراث - عربية وأجنبية ، قد نشأت لخدمة الموضوعات العربية والإسلامية وأنها اعتمدت عليها اعتمادا يكاد يكون كاملا ، فنهارس المخطوطات مثلا ، قد تكون أعدت في بلاد أجنبية وأعداء مستشرقون ، ولكن لا شك أنها لخدمة التراث والمشتغلين به ، كما أن مادتها تنتمي الى التراث .

وهكذا قل من الخدمات الببليوجرافية المختلفة ، وقلما يغفلوا عن من التوايح الكاملة له - كما أن الدراسات الحديثة تعد مقدمات لأعمال التراث ومدخلا إليها - وهكذا يمكن ضم هذه الأعمال الى التراث بهذا الاعتبار وإن لم تكن منه أصلا - على أنها ليست هي المقصودة الآن بعمليات العصر والجمع والتحقيق فالمقصود بها المخطوطات خاصة ، وإنما يأتي دورها في مرحلة تالية .

وعلى هذا فالأفضل أن تقتصر في المرحلة الراهنة على تحديد مفهوم التراث بذلك الذي تضمنه المخطوطات العربية ، وهذا هو المعنى الشائع عند المشتغلين به وهو المعنى الذي نقصده في دراستنا هذه .

قيمة التراث في العصر الحاضر

عند مناقشة قضية التراث والحاجة الى بعثه وإحيائه وحديثه يذهب البعض الى أن التراث من أعمال الماضي ، وأتينا الآن في عصر التقدم ولا حاجة بنا الى ما تضمنه الكتب الصغراء من معلومات مضى عليها الزمن، وأن الأولى أن تنفق الوقت والجهد في الموضوعات التي تعود على الوطن بالنفع وقد يستخدمون في هذا عبارات قاسية عن التراث فيها ظلم صارخ له .

وقد غابت هؤلاء أمور وغايات منهم أشياء ، إذ يفسرون التقدم تفسيراً ضيقاً جداً ولا يلتفتون إلى جملة عناصره ، ويرون النموذج المادي للتقدم هو وحده الجدير بالاتباع ، وحينئذ لا يجدون دوراً للتراث . ولذلك فإن التحس الذي نتحوه في هذه الدراسة هو أننا نركز على جوانب موضوعية في قيمة التراث ، ولا تقتصر على الجوانب العنصرية فقد استعملت كثيراً ، ولا بأس أن يتحسس الإنسان لثرائه فهذا واجب ، ولكنه من الأفضل دعم العنصرية بقيمة موضوعية حقيقية يراها الناس في التراث فيلمسون معها أن له دوراً في العصر الحاضر . وسوف نركز كلامنا هنا في عدد مسن النقاط :

أولاً : التراث وشخصية الأمة

لكل أمة شخصية ذاتية تنفرد بها عن غيرها من الأمم . وتعتمد هذه الشخصية على مقومات متعددة . وفي عصر الحضارة الإسلامية الزاهر كانت شخصية الأمة الإسلامية واضحة كل الوضوح ، إذ تعتمد الشخصية على فكر هو ذلك الانتماء الداخلي الذي أعطى للأمة الإسلامية العمود الفقري لشخصيتها وقد رفض المجتمع الإسلامي على مر العصور الأفكار الدخيلة لأنها غريبة عنه وتمسك بأعقاب فكرة التبعث من الإسلام . والاشتباه والشواهد على هذا كثيرة .

وقد صعب على الحق المسلمين من تأخر في العصر الحديث دعوات هدفها الأساسي طمس معالم الشخصية الإسلامية والتمكين للدعوات والارام الدخيلة على بيئتنا الغريبة على فكرنا ، وربطوا في هذا بين التأخر المادي الذي عانت منه الأمة الإسلامية في العصر الحديث وبين التمسك بالماضي .

واختلط الأمر على البعض منا فحاولوا أن يخلصوا لهم نوعاً مسن الانتماء إلى هذا المذهب أو ذاك تقليدياً ورام مأثري به العصر الحديث من هذا الاراء والمذاهب . وفي نفس الوقت ظل التيار الفكري الإسلامي قويا يرى أن تحقيق التقدم هو في المودة إلى نفس الأسباب التي حققت تقدم المسلمين في عصرهم الزاهر .

وللفصل بين الفرقاء نقول إن الحضارة ذات جانبين : جانب محتوى

فكرى ، وجانب مادي • والجانب الاول تختلف فيه الامم لانه يتبع الحياة الفكرية للامة ، وهي كما ذكرت انبعاث داخلي لا يستمد من اى مصدر خارجي • اما الجانب المادي فهو قدر مشترك بين الامم تستطيع كل امة ان تصل اليه اذا امتلكت اسبابه •

والحضارات الاجنبية التي نشهد الان جميعا كلها تركز على الجانب المادي من الحضارة ولا تعني بالجانب المعنوي • ولو حاولت امتنا ان تأخذ فقط بالجانب المادي فسوف تكون نسخة مشوهة او ممسوخة من هذه الامة او تلك ، وربما لن تلحق بها ابدا • ولكن الحضارة الاسلامية تعتمد على الجانبين معا ويتعلق فيها توازن دقيق بين الفكر والروح من جانب والمادة من جانب اخر • فضلا عن ان هذا الجانب المادي هو نفسه منبثق من الدين الاسلامي الذي ينظم علاقة الانسان بفאלقه ، وعلاقته بغيره من افراد المجتمع ويرسم للمجتمع الاسلامي المنهج الذي يسير عليه في كل الامور • فهو دين متكامل ينظم حياة الناس من جميع الوجوه • وهذا هو الذي يفرق بين المجتمع الاسلامي وغيره من المجتمعات وبين الفكر الاسلامي وغيره • والفكر الاسلامي هو الذي يحدد معالم الشخصية الاسلامية •

والتراث هو الذي يشتمل على التراث الديني ، الذي تتمثل فيه اكثر من اى شيء اخر شخصية الامة الاسلامية خالصة نقية بريئة من كل دخيل من الشرق او الغرب • فاذا كان التراث هو الذي سجل عوامل التقدم في الماضي ورسم للامة الاسلامية شخصيتها ، فان دوره في العاضر له نفسى الاهمية حتى تستريح الامة من عناء البحث عن دورها وعن شخصيتها •

ولذلك فاذا كان المجددون في العصر الحديث قد راوا ان صلاح حال الامة الاسلامية هو في العودة الى ما كان عليه السلف الصالح فيجب ان يرتبط بهذا ان نهتم باحياء تراث هؤلاء السلف وخدمته ، فهو امر ما تملك الامة الاسلامية •

ثانيا : التراث والقضايا المعاصرة

اذا كان التراث يلعب هذا الدور في رسم معالم الشخصية الاسلامية

في الحاضر ، فإن له دورا آخر هو امتداد لوصول ماضي الأمة بحاضرها .
 فقد جددت على المسلمين أمور وعرضت لهم قضايا نتيجة اتصالهم بعنارة
 العصر الحديث . وقد تداخلت الأمور والقضايا في حياة المسلمين بحيث
 كان من الضروري بحثها على ضوء تعاليم الاسلام . ومن أمثلة هذه القضايا
 البنوك ، التأمين ، عمل المرأة ، علاقات المسلمين بغيرهم في السلم والحرب
 تنظيم الأسرة ، الخ . ولكي يطمئن المسلم على أن حياته تسير في الاتجاه
 الصحيح فهو يريد معرفة رأي الدين في هذه القضايا . وقد يكون بعض
 هذه القضايا من الواضوح بحيث لا يحتاج إلى بحث طويل ، ولكن هناك قضايا
 جدلية تحتاج إلى بحث طويل . ولكي يتم بحثها فلا بد أن تكون المعلومات
 اللازمة متاحة وسيرة ومنظمة . وهذه المعلومات تستند أساسا من تراثنا
 الفقهي . فمن الضروري أن يكون هذا التراث مجموعا ومنظما وميسورا
 للباحثين .

وهناك جانب آخر لهذه القضية لعله أهم وأهم وهو قضية التشريع
 من أمثال الماضي . والتشريع هو الذي ينظم حياة المجتمع . ويختلف المجتمع
 الاسلامي عن غيره في أن تشريعه مساوي لا وصفي . وإذا كان من الواجب
 على الشعوب الاسلامية أن تجعل التشريعة الاسلامية مصدرا لها الوحيد لقوانينها
 الحديثة ، فيجب أن يلازم هذا نشر التراث الفقهي وفهرسته وتحليله بما
 ييسر الرجوع اليه ، خاصة وأن إنتاج علماء السلف في هذه الموضوعات
 يجب أن يكون الأساس لدراستنا العالية .

ثالثا : التراث وقضية المنهج ، والدفاع عن الاسلام

بدأ الأوروبيون اهتمامهم بالعلوم العربية منذ وقت طويل منذ بدأ
 اتصالهم بالمسلمين في مراكزهم في أوروبا : الاندلس ، وصقلية . وفي
 المشرق أيام الحروب الصليبية . وقد جاوروا في تفوق المسلمين وبدأوا في
 دراسة علومهم ، وعليها اعتمدت النهضة الأوروبية الحديثة . وقد كان من
 نتيجة هذا أن انشئت مراكز متعددة للدراسات العربية في الجامعات
 الأوروبية . وقد درس هؤلاء كل ما يتعلق بالمسلمين ، واختلقت دوافعهم
 في ذلك : في البداية كانوا يريدون أن يتعلموا علوم المسلمين وفي بداية
 الاهتمام السياسي بالدول العربية درسوا جوانب الحياة المختلفة لكسب
 يتمكنوا من التعامل مع المسلمين . ويعرف هذا بحركة الامتشرانق . لقد

أهتم المستشرقون اهتماما كبيرا بالدراسات العربية والإسلامية وبدلوا فيها جهودا كبيرة ووجهوا الاهتمام إلى المخطوطات العربية وكانوا أول من أهتم بنهرستها ووضع قواعد لتحقيق نصوصها ، وأعمالهم في هذا المجال كثيرة ولها تأثير كبير .

ولا يمكن القول بأن الاستشراق كان غيرا كله أو شرا كله ، فلا يمكن القول أن المستشرقين لم يقدموا هذه الدراسات . ولكن هل قاموا بمسلمهم هذا بدافع من حب الإسلام وأهله . قد يكون بعضهم قام بدراسته من باب حب العلم أو الإعجاب بتراث المسلمين العلمي ، ولكن من المؤكد أيضا أن الكثيرين منهم كانوا يدرسون الإسلام وتراثه بغرض الدس عليه والطمع فيه . ووصل الطعن إلى شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وليس هذا غريبا ، فهم ليسوا مسلمين وبالتالي لا ينظرون إلى الرسول نظرة التكريم والاحترام فليس غريبا بعد ذلك أن تمتد السببته إليه ، وإلى تراثه من السنة ، قياسا على تحريف الكتب المقدسة عندهم . وهذا هو الذي يشير ما يحثرونه في كتاباتهم من طعن في الإسلام ، وهو طعن وامن ضميمه لا يقوى أمام المنهج السليم والدراسة العلمية .

وعنا نود أن نشير إلى أمرين لهما خطرهما :

١ - أن التراث الإسلامي قد واجه في الماضي مواقف كثيرة من هذا النوع مع أعدائه القدامى من نصارى ويهود وسجوس ، ومن أتباع فلسفة اليونان . وقد تصدى علماء هؤلاء وحضوا أراهم وتزاهاتهم . وهناك علم دفع سطا عن القرآن وعلم دفع سطا عن الحديث . وعلم الكلام السي . وهذه العلوم درست كل ما يورع الاختلاف أو التناقض ووصلت إلى التوفيق . كما أن علماء الكلام قد تصدروا لأصحاب المثل والنحل والمذاهب المتفرقة وحضوا مذاهبهم .

وما نحتاجه في هذا الصدد هو التفتيش في التراث والاسترشاد بدفوع السلف ، ولا أقول الوقوف عندها ، ولكن لبدا من حيث بدأوا ثم تصنيف إليه ما تتطلبه الأوضاع الراهنة من أدلة وبراهين جديدة .

٢ - يركز الأوروبيون في دراساتهم على قضية المنهج . وهم

بروجون لارائه باسم لعلم والمنهج العلمي . وللاسف لقد وجدوا من بين اصحاب ادراك صافية وقلوب مفتوحة ممن تعلموا على ايديهم اما فلسفي حياتهم او من طريق الاستعادة من دراساتهم . خاصة وايضا في كثير من المجالات يقتصر الى الدراسات الحديثة في هذه الموضوعات الامر الذي يترك الميدان حيا الا من دراسات المشرقين ومن ثم تكون دراساتهم هي الدراسات الوحيدة في بعض الموضوعات فيضطر الباحث الى دراستها . ونادرا ما يخلت من تأثيرها .

وقد ركر هؤلاء على الشك في تراث النبي صلى الله عليه وسلم من السنة . ورموا ان علماء الاصول قد ركزوا فقط على اشخاص الزواة ولم يتناولوا بالتفصيل خصوص الاحاديث ولم يدرسوها على العقل !!

ورأيهم هذا في مخالفة للمنهج العلمي الصحيح واحقاق في تعرف ما يصحح منهج لدراسة الحديث النبوي الشريف . فهم يحاولون ان يسلطوا المنهج لعقل على علم نقل وعده خط منهجي محض في حين انهم يتشدقون بالمنهج بمعنى مبهين كل المنهج صالحة للتطبيق على كل العلوم . لا يجوز مثلا ان نطلق المنهج لرياضي - وهو مبهين في ذاته - على العلوم الاجتماعية . اصح العلاقات الاجتماعية للقبائل الرياضية . كما لا يمكن ان نطبق منهج التحريبي . وهو ايضا مبهين في سياقات اخرى - على الموسيقى . ونخص المؤلفات الموسيقية للملاحظة والاستقراء الخ ...

لا بد ان من يعرف المنهج لدى مصحح لتطبيق على علوم الدين . وتختلف هذه من غيرها من العلوم في انها علوم شعبة وهي تعتمد على العقل عن الواضع الشرعي ولا يجد فيها معتق الا من الخلق المروع من مسائلها بالاصول . اما العلوم شعبة فهي شر تعتمد على العقل ويمكن ان نطلق عليها منهج لادري . فعمل ان يطر كذا يشاء .

والاصل في العلوم الدينية انه في الكتاب والسنة اما الكتاب العزيز فقد أمر الله وتكليف بمصنف . هو كلام سبحانه وتعالى . واما الحديث الشريف فهو كلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابة . ولكن اقواله وافعاله صادرة عن الوحي . ومنهج الاساس يقوم هنا على الاقتداء

بهذه الأقوال والأفعال إذا ثبت أنها صدرت عنه - وهو الذي ينحصر موقفه
 أبشئ بذكر رضى الله عنه في قضية الاسراء والمعراج - أن كان قال فقد صدقه
 وكذلك كان يمانه رضى الله عنه رأسه يورى بأيمان الأمة يقوم على
 الاقتداء وليس على البحث في فعوى الكلام أو الفعل - وعلى هذا يقوم
 البحث في علم أصول الحديث فهو ينصب على الأشخاص الراويين للحديث ،
 فإن صحت سلسلة الأسانيد فقد صح الحديث ، وإذ صحت صحة الحديث
 وقد أحقق المستشرقون في تعرف هذا المنهج لأنهم يميلون من روح الاسلام
 يميلون من تصديق بكلام الرسول - رغبوا في تدريس والطعن -

فليس من شائنا أن نحاول نفس منهج آخر فلفهجه الذي سبقه
 مسمون في علم مصطلح الحديث منهج سليم - وقد كان من قوته أن طبقته
 علوم أخرى كثيرة *

رابعاً : التراث وإسهام العرب في الحضارة الاسلامية -

ظهرت دراسات كثيرة حول تزيح العلوم لعربية ولامسلمية - وقد
 كتب المستشرقون أغلب هذه الدراسات - ولذلك فقد تحول تاريخ العلوم
 العربية والاسلامية بأراء المستشرقين - ومرة أخرى في غياب الدراسات
 العربية - عينة - ومع كثرة تلك الدراسات فلا يستطيع حتى الآن
 تقدير دور لدى لعملة الحضارة الاسلامية في الحضارة الاسانية على
 أساس موضوعي رصين - وأما أقوالها وأقوالها - فكما لا يستطيع
 حتى الآن أن تعرف إسهامهم الكامل والعظيم *

ولا يمكن أن نحرف ونقدر هذا دور دون كتابة تاريخ العلوم
 العربية الاسلاميه - ونحاول لدراسة سي قام بها المستشرقون أن تقلل
 من هذا الدور - وأن تصعب هذا الإسهام حتى لا يسبوا للمسلمين أي فضل
 فهم يرون أن الحضارة الاسلامية قد قصرت على دور «سابق» لاين للحضارة
 اليونانية وتوصيفها أن حضارة «مصر» حديث - هي حضارة وسيطة بسيطة
 لا ابتكار فيها ولا جديد - وبناء على هذا يسبون هذا الجديد إلى الحضارة
 الحديثة - فهم الذين ابتكروا منهج المنهج - وهم الذين وصموا أسس كل
 العلوم - الخ - هذا في حين أن بعض المصنفين منهم يرون أن المسلمين هم

ندين وحموا أساس المنهج العلمي الحديث ، وقد ثبت الدكتور على ساهي
 الشار في كتابه "سأهج لبحث عن معكري الاسلام هذا بأدلة تحليلية
 تركيبة كما أثبت أن العقل العربي عقل استقرائي تجريبي وأن العقل
 اليوناني عقل قياسي نظري استدلالى وأن المنهج الاستقرائى يمثل أكثر
 ما يمثل فى علم أصول الفقه الذى يختلف منطق الاستقرائى تماما عن
 المنطق الارسطى القياسى . ومع ذلك يسمه البريوني المنهج لتجريبى الى
 فرسيس بيكون ، كما يسمون علم الاجتماع الى أوجست كوت مع
 وصحه ومؤسسه هو ابن خلدون وهكذا وهكذا .

ومن القصايا التى أثاروها فى هذا الصدد وثابهم عليها كالمادة عنده
 عرب - أن العلوم العربية وقعت عند القرن الرابع الهجرى . فقد بلغت في
 ذلك لقرون قيمة صعبها ، أب بعده فلا شيء سوى الشرح والتبسيط والتهذيب
 والتمشية ، دون إضافة حقيقية الى ما سبق .

وقد ذهب الى هذا الرأى الكثيرون من أرحوا لنبهة العقيدة عند
 المسلمين من عرب ومشرقين وربما كان أول من رغم هذا المبتدع
 السوى آدم قر فى كتابه الذى ترجمه الدكتور محمد عبد الهادى أبو
 ريدة "الحضارة الاسلامية في القرن لربيع الهجرى" وهو عصر النهضة في
 الاسلام . والمبوان يسمه عواس بقدى فهو يمتد الى القرن الرابع قبة
 النهضة فى الاسلام . وربما تأثر بهذا الرأى وسجله بصورة أكثر وضوحا
 أحمد أمين فى سبسته عن النهضة العقلية عند المسلمين فجر الاسلام
 وصحى الاسلام وظهر الاسلام وهذا الرأى ورد فى ذيل كتابه ظهر
 الاسلام .

ومن لا سكر قيمة هذه المسئلة فى كشف الجوانب عن العبادات
 العقلية عند المسلمين ولم تشتت هذا الموضوع . ولكن ليت أحمد أمين
 وقف عند هذا الحد . ولم يتعمق الى الكتابة من ما بعد القرن الرابع ، ليته
 ترك الباب مفتوحا لم يأتى بعده بعد أن ادعى هو دورا جديلا فى دراسة
 القرون الاربعة الأولى . لقد جاءت كتابته - ولا أقول دراسته - عن
 القرون التالية فى ملحق فى المجلد الرابع من ظهر الاسلام فلم يـؤت

الموضوع حثه . اد درس القرون الاربعة الاولى في ثلاثة كتب معصم ثمانية مجلدات وتناول القرون اللاحقة في دليل أو ملحق . هذا فصلا عن أن سميته لكتابه تسمية مقبلة . فالبحر هو الشاة ، والصحي هو السطوح ، والظفر هو القمة التي تبطنها الشمس . وبعد ذلك الاحدار فالعروب .

أي أن ما بعد انقرب لربيع احدار واقول . وكأنه حكم على القرون لتالية بنكها مسبقا قاسيا دون دراسة أو تمحيص .

اقول أن احمد امين . قد يكون هذا متاثرا بعتري وغيره . ولكنه كان حسن النية فيما كتب . ولكن المستشرقين كان لهم نية اخرى .

فسمى هؤلاء يهود أن . لخصارة الاسلامية قد ولعت بعد القرن الرابع ويرجعون اسبب في ذلك الى أن انتصار المذهب الاشعري كان بداية للجمود عند المسلمين . ومن يعرف أن انتصار المذهب الاشعري السبي على المعتزلة كان على يد أبي الحسن الاشعري في رأس المائة الثالثة . ثم انتشر بعد ذلك وساد في القرون التالية .

ويرى هؤلاء المستشرقون . نجاح المذهب الاشعري كان السبب في تجسيد الفكر الديني عند المسلمين . فهم يعتبرون المعتزلة أصحاب حرية الفكر في الاسلام . ورغم أنهم لم يستطيعوا الدفاع عنهم حينما تكلموا بمصومهم أيام الخليفة المأمون حينما وصلوا الى السلطة . فقد حملوا خصومهم في الرأي بالقوة والتعذيب بل والقتل أحيانا عن القول بخلق القرآن . وهي العنة المعروفة التي لم يسلم منها أحد من كبار الائمة وسهم الامام احمد بن حنبل امام أهل السنة .

وهي هذا يقول الدوميني في كتابه العلم عند العرب واثره في تقدم العلم العالي (١) . ويسمى الا يمين عن نظرا أن الدين غسي العالم الاسلامي يسيطر سيطرة كاملة على جميع الحياة المدنية والفكرية . وانه في الادسة والامكنة التي لا يزال مذهب أهل السنة المحافظ يسيطر

فيها يجب أن يكون كل موثقافة وكل اتجاه لاسمات أفكار جديدة أو
محددة - خاصا لموضوع القرار - ولا عاريت الصمحية السنة الى الرسول .
و١٠ - هذا كار لاهل له سطر سطر حصل جهود شديد في جميع
الحياة الثقافية كما حصل معقر الى روح معادية للعلم وتقوية لكل ما
ينكر تقدم الانسان وحرية الارادة .

وبعد ان يحكى سبيل كيف يجب المذهب الاشعري ضد المبرلة يقرر
ان . اب - بعض الاشعري هو مؤسس علم الكلام السي في الاسلام . وقد
كان تأثيره بعيد مدى في هذه المسألة ولكنه - بكل تأكيد - لم يؤثر
اثرا مساعدا على نمو العلم .

ان لهذا بعد مدى يرمى المشرقون الى الوصول اليه هو ان
بصار العقيدة الدينية على مقدم عموم ومضى ذلك ان الاسلام يعوق
لتقدم بعضي وهم يريدون لهذا الزعم ان يسود وان يسيطر على التفكير
للمسلمين وذلك حتى لا يحدوا - في صميمهم نحو التقدم - العودة التي
ما كان عليه العلم .

ولا شك ان رى لشعريين مجافا لمعققة واثبات فالدس
الاسلامي يحسن على جميع التعليم والتعلم ويرفع من قدر العلماء حتى
جعلهم ورثة الانبياء ولا شك ان تعاليم الاسلام كانت الدافع وراء النهضة
العلمية التي شهدناها لعدم الاسلامي . فبفضل بعضي نوع من العهد -
العهد الاكبر - ولذلك لم يبحر العلماء المسمون بهذا ولم يعرفوا دعة .
ولامثلة على كدح العلماء المسلمين الاكبر من ان بعضي واكثر من ان
بعضي - وهورهم وما عمو اليه بعد بانقياس الى الادوات التي
يعملون بها اكثر من جهد أي عام في العصر الحديث بانقياس الى ادواته
أما عن الزعم بان العلوم العربية والاسلامية قد توقفت بعد لقرب
الرابع فهو بعيد عن الحقيقة وذلك لأسباب منها

١ - ان حالة التراث لا تسمح باصدار عدد الحكم . و يطلب التأريخ
الكامل لمعوم دراسه كل قطع التراث . وهذه الدراسة غير ممكنة في ضوء
الظروف لعدم التراث ولا زالت هناك جهود كثيرة في معلوماتنا في

نشأة كثير من العلوم وتطورها بسبب غلب قطع أصلية من التراث - ويشكو الكثيرون من العرب والمشرقين من عدم تمكنهم من استيفاء دراساتهم بسبب نقص المصادر الأصلية في الموضوعات - هذا مع أن بعض مصادر أصل واحد أو وجوده قد يعبر أروما عن علم من العلوم - وقد يؤدي إلى إعادة كتابة تاريخه -

ومن أمثلة ذلك تلك القصة المشهورة التي حكى عن تصحيح الطبري فقد كان هذا الكتاب يعد مفقودا إلى قرب نهاية القرن التاسع عشر - مع أن العلماء من المسيحي والمسيحي كانوا يحسمون على أصبه - وفي سنة ١٨٦٠ كتب المستشرق لادسي بولسكه صادرا في حكمه من قطع وجدف من الكتاب وخصوص بقائها منه كتب أخرى لو حصلنا من هذا الكتاب لاستطعنا أن نسحق من كل كتاب التعديل المتحرة عنه - ولكنه يدوا للألم مفقود -

ولهذا كتب المستشرق امري جولد تيهير الذي قص الحكاية السابقة - ولهذا كان معاناة سارة للعالم في الشرق والغرب أن صدرت طبعة كاملة في القاهرة من هذا الكتاب المصمم ٥٥٥ مستمدة من نسخة كاملة بخطوطه وجدت في مكتبة أمير حائل -

هذا كتاب واحد في علم واحد - فكيف يمكن لباحث ما أن يعطي أحكاما عن تاريخ العلوم العربية جميعا وتراثنا لأزالت أجزاء كثيرة منه لا يعرف أحد منها شيئا -

٢ - يمكن أن نقول أن العلوم العربية لم تتوقف بعد القرن الرابع - قد يقال أن العلوم الدينية قد شهدت نوعا من الثبات النسبي وذلك لا يرجع إلى - حر أو حمور - ولكن يرجع إلى أنها علوم عقلية - ومن العلوم أن العلوم العقلية ثابتة استثنائية بسبب اعتمادها على العقل ومن ثم فإن تطور المعرفة فيها مرصود باستحداث مسائل بطلب الاجتهاد - وقد مثل الاجتهاد قويا حتى لقرن الرابع لا لعلماء وجدوا أمامهم مسائل بطلت قدح لفكر فمما كان القرن الرابع المستعد - كل المسائل المروعة بدمع

والدليل على هذا اختلاف منه أهل العراق ومصر عن منه أهل المدينة -

وذلك لتشابه بيئة المدينة زمن مالك أمام أهل المدينة مع بيئة عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عصر الوحي - ولذلك كان مالك يوسع دائرة الحديث ويصير دائرة القياس - ولذلك أخذ يمدد اجتماع أهل المدينة ، إذ لو اجتمعوا على ترك شيء أو فعله فهم قريبون من زمن الرسول ، ومن استمرر أن يجمعوا على شيء لم يكن موجوداً في عصر الرسول .

أما أهل العراق وعصر فإن بيئتهم رعاة تهرص أو تهرص مسائل عديدة وفروعها تتطلب الت فيها ولذلك وسع العراقيون دائرة الاجتهاد . أما مذهب أهل مصر مثلاً في مذهب لأمام الشافعي فقد استعاد سن مذهب مالك واستعاد من مذهب أهل العراق . إذ تستمد الشافعي على مالك، ثم من محمد بن الحسن الشيباني فطعم مذهب ياراء أهل العراق لتشابه بيئة العراق مع البيئة المصرية التي دوس فيها مذهب الشافعي .

وفي القرنين الثالث والرابع أخذ علماء الفقه يخدمون المذاهب المختلفة ويستمرقون الجهد في بحث مسائلها حتى استنفدوها . بل لقد اقتصرنا مسائل واجابوا بها . وكانت البيئة في القرون التالية بمصر القرن الرابع ثابته سباً وتشابهة مع بيئة القرن الرابع وما قبله فلم تستعد مسائل تتعلق بمسائل المكر - ولذلك بدأ المؤرخ غير المتخصص بطبيعة العلوم أن التطور قد توقف وإن انعكس قد جمد - والحقيقة أن البيئة نفسها هي التي ثبتت ولم تعد تطرح قضايا يحتاج إلى بحث - فلما جاء العصر الحديث واحد المسلمون يتصورون بالحضارة الأوروبية استحدثت قضايا من النوع الذي أثراً إليه عند الحديث عن القضايا المعاصرة ، فاحتاجت إلى بحثها والت فيها . ولذلك شهد الفقه نهضة جديدة كما ذكر مؤرخوه .

٣ - أن العلوم الأخرى غير الشرعية مثل الطب والتاريخ لم تشهد هذا الثبات السمي ، بل استمرت في تقدمها وتطورها . وذلك لأنها لا تعتمد على النقل كما تعتمد العلوم الشرعية . ولذلك استمرت في النمو . فقد كانت القرون الثلاثة السابع والثامن والتاسع في عصر العصر الذهبي للتاريخ والمؤرخين وشهدت أعظم المؤرخين المسلمين . وقد شهد القرن الثامن مثلاً شخصية هبة كاهن خلدون . وشهد القرن السابع ابن النفيس

الطبيب الذي اكتشف الدورة الدموية (مات ٦٩٦ هـ) - ولي الجغرافيا مجد
الفرديسي (مات ٦٨٢ هـ) - وهاتك القلقشندى وكتابه صح الاخشى
(مات ٨٢١ هـ) والدميري (مات ٨٠٨ هـ) وحياء الحيوان الكرى -

٤ - ليس معنى هذا ان العلوم الشرعية قد حلت من المعناء الكبار.
فهناك المراتل (مات ٥٠٥ هـ) وفهر لدين الرازي مات (٦٠٦ هـ) وابن
تيميه (مات) وشميداه ابن الميم (مات) وابن حجر
المسقلاس (مات ٨٥٢ هـ) والسماوى (مات ٩٠٢ هـ) والسبوسى
(مات ٩١١ هـ) -

وهذه الاشنة جسيما هي في العثرة التي قبل ان تعلم فيها قد توقف
وهي امثلة لقبله وهناك كثير - وهذا يدل على ان من التسرع اصدار حكم
بهذه الخطورة قبل دراسة قطع لثراث - وهذه غير ممكنه لا بعد حصره
وجمعه ونشره -

واقع المخطوطات العربية :

استجبت لمخطوطات العربية في بلاد الدولة الاسلاميه - وقد تعرضت
حلال رحله لطويلة مد امتاحها حتى الوقت المعاصر لطروف صعبة من
احراق الى الخروق الى هب وحلب الى نقل الى مكتبات اجسية - والملاصة ان
الكثير منها قد ضاع ولم يصل اليها - و ان لكثير منها ايضا قد نقل الى
مكتبات اوروبية واجسية هي لشرق او الغرب على السواء بحيث يمكن
القول ان لمخطوطات العربية توجد في قارات العالم البت وفي معظم
المكتبات الكبرى في العالم - كما توجد في العالم الاسلامي في انواع
متعددة من المكتبات وعند الافراد -

ويشعبها الانصاف ان يقول ان المخطوطات العربية قد حظيت بقدر
كثير من الاهتمام سواء من حيث التصوير او النشر - ولكن من الحق ان
مقرر كذلك ان الجهود التي بذلت لم تصل الى ما يريده لثراثنا او الى
شيء قريب منه - فلا زالت اسافة بعيدة جدا بين واقع الثراث وما يريده
له - ولكن يتسنى لنا رسم معالم خدمته لا بد ان يعرف حالة - ولذلك
فسوف نتناول شخيص واقع المخطوطات العربية على السحر الاتي

أولا نظرا لتشتت المخطوطات العربية في مكتبات العالم وحسب
الأفراد ، فقد كان من الضروري أن تتجه الجهود نحو جميع هذه المخطوطات
وسا لا شك فيه أن المكتبات التي تقتنيها لا ترضى بالتمسك بها ، مع العلم
أنها تراثنا نحن . ولذلك فقد أصبحت الجهود التي بذلت أساسا لجسع
التراث على التصوير . وكان التصوير أحد الأنشطة الرئيسية التي أشتهر
من أجلها معهد المخطوطات العربية التابع لإدارة الثقافة بالمجلس العربي
للتربية والثقافة والعلوم . على ذلك فهرسة المخطوطات التي يتم تصويرها .

وقد أشتهر المعهد منذ ما يزيد على ثلاثين عاما ، وتمكن من تصوير
ما يقرب من ١٨ ألفا من المخطوطات . ورغم أن هذه حصيلة طيبة ، إذ
يقله المعهد في الميدان وحده تقريبا ، إلا أن هذا العدد لا يذكر بالمقارنة
مع عدد المخطوطات العربية في العالم وهو يقارب المليون . ولو أتمسك
المعهد على هذا المعدل فإنه يحتاج لاستلام العمل كله إلى أكثر من ثلاثة آلاف
سنة . هذا إلى أن المعهد قد قام بتصوير جزء لا بأس به من هذه المخطوطات
من مكتبات في الدول العربية ، وكان الأولى أن يعصب الاهتمام على ما
يوجد في مكتبات أجنبية . كما أن ما في حوزة الأفراد لم تصل إليه يد
بعد .

ثانيا من حيث العصر ليس هناك حتى الآن سجلات كاملة أو شبيهة
كاملة من المخطوطات العربية . وتعاول المكتبات التي تمتلك جاثنا منها
أن تعد لها مهارس ، كما حاول ذلك كثيرون من العلماء بهيهم عسبر
ومستشرقون . ولكن هذه الأعمال لارثت بعمود جدا عن الكمال ، بل إننا
لا نعرف حتى الآن بصورة كاملة ما هي مهارس المخطوطات التي أصدرتها
المكتبات . إذ أن الكثير منها عبارة عن نسخ خاصة مخطوطة تستمدل داخل
المكتبات أما من ما عند الأفراد فهم يملكون أي نوع من أنواع العصر المتقن .

والنتيجة لهذا أننا لا نعرف ما مخطوطاتنا و أين توجد . هذا فضلا عن
أن الفهرسة تتم في كثير من الأحيان دون قواعد مقننة الأمر الذي يجعل
توثيق المخطوط غير كامل .

ثالثا : ليست هناك خطة شاملة لنشر المخطوطات وتحقيقها . ويمكن

ان ملاحظ في هذا الصدد ان الشر يجري وراء كتبه بعينها يتقصد الربح المادي حتى ولو كانت قد طبعت من قبل مرة او اكثر ، الامر الذي يدل على ان رسالة الشر ليست في دهر الغائبين بالمعمل .

وان غياب حطة للشر يؤدي كذلك الى التكرار . كما ان الشرارات التي تصدر بتفاوت في جودتها ، فالنقص يحقق وينتق الى ابد الحدود والبعض يكتسب بفتح المخطوط الى المطبعة دون اي جهد من جانبهم . ولهذا فلا يمكن الاعتماد على كثير من هذه الشرارات من الوجهة العلمية . هذا فضلا عن ان ماثم شره حتى الان قليل بالقياس الى عدد المخطوطات ، والاستمرار على هذا النمط يؤخر التعريف بثر اثنا واجرام الدراسات عليه .

رابعا هناك جانب لم تعطيه الاهتمام الكافي حتى الان وهو اكتشاف وتحميل النصوص فالملاحظ ان كثيرا من اعمال التراث تنسم يستثنى او يواحدة منها .

١- انها تنسم كتلا كبيرة من المعلومات وتشمل على جزئيات لا حصر لها والبحث الحديث لا يحتاج فقط الى معرفة ما هي صاوين الكتب والمقالات والرسائل التي تتناول موضوعات معينة . ولكن يحتاج الى ما يسميه جزئيات المعلومات فكيف الوصول الى هذه الجزئيات في كتاب يضم الالف الصفحات . وقد يكون البحث عن جزئية واحدة . فهل يقرأ باحث ما كتابا يضم ١٠ مجلدات مثلا للوصول الى جزئية صغيرة .

لقد مكنت ليفة كاملة البحث في معنى لفظ واحد في كتاب او اكثر ولم اهتم اليه مع تأكيد من وجوده في الكتاب . لان محتويات الكتاب لم تحلل او تهرر بالفكك الذي يوصل الى مضامينه .

٢ - ان الكثير منها يتسم بالموسمية والاستطرد . فالكثير من الكتب التي جدها مؤلفوها موضوعات وصوبوها بصاوين معينة . لا تقتصر على الموضوعات التي يدل عليها صاوينها . وانما يستطرد اصحابها الى معلومات كثيرة بحيث تصبح في النهاية اعمالا موسمية ، مثال ذلك كتاب

الحيوان للدهجد ، عجائب المعنويات المفروسي . نهاية لارب لتوهرى
حيوان الاحار لابي قتيته . ولحطط لسقري . وحياة الحيوان لسقري .
بل ان الكثير من كتب التاريخ والارب والجغرافيا والرحلات
وتاريخ البلدان يصدق عليه صفة موسوعية . بل لقد اجر بعض اساجم
الفقوة الى استطرادات موسوعية .

ويحتاج الامر في لعانتى الى ابرار المصطلحات الدالة في هذه الكتب
وترتيبها ترتيب مفيد يسر لباحث الوصول الى كل الاماكن التى حوّلج
فيها اللفظ الذى يريد بدلا من قراءة الكتاب كله فهو جهد لا يتناسب
مع البحث عن جرئية صغيرة من المصطلحات . وان كانت كتب التراث غرائث
للمعرفة من الكشف والتحليل بمعنىا مباح الوصول الى هذه الكور ،
وعملية التحليل تعتمد عن معمارى التقليدي التى يقدمها المحققون
والناشرون لان لبعض كتب التراث .

خامسا . يعتبر الانتاج الفكرى العربى - والمخطوطات جانب مشد
الى السطيم الموضوعى المعدل الذى يعطى لباحث ويسره انوار دلتى تعالج
موضوعه من كتب ومقالات وابحاث . وقد قام البعض بجهود لتوفير هذا
المجلد الموضوعى عن طريق تبني أنظمة اجنبية لتصنيف هذه الانظمة
لا تراعى حاجات التراث الفكرى ملامة الاسلامية لانها احدث ثقافات
اجنبية هنا .

وقد كان الرد المبني على هذا هو بدل لجهود في محاولة جادة لتوفير
نظام عربى لتصنيف صالح لتنظيم المعرفة وابع من حاجات المكتبات
لعربية وقائم على الفكر الاسلامى في مجال تنظيم المعرفة . وقد عالجا
قضية تنظيم المعرفة عند المسلمين في مقال سابق في هذه المجلة . ★

✽ عدد يناير ١٩٧٨ م صفر ١٣٩٨ هـ . وقد وعى المؤتمر الثانى
للاعداد السليوبور في ليكناب العربى الذى عقد في شهر ديسمبر ١٩٧٨ على
تسى الجهود التى بذلتها كانت المقال الحال في مجال المعطة العربية
للتصنيف واوصى بسمكهاها من قبل الاقطار العربية والمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم .

أي أن تنظيم المخطوطات جزء من قضية عامة هي تنظيم الانتاج
المكثري العربي كله ، وهي جهود لم تصل بعد الى مداها .

سادسا من حيث الدراسة العلمية لا تعطى قصدا المخطوط وجوانبه
بالدراسات اللازمة . هناك قواعد تحقيق لخصوص . وهناك مادة
المخطوط . وهناك احكام المخطوطات وما يتم من جهود في جميع المجالات
المتعلقة بها على مستوى العالم . وهناك المؤتمرات العلمية . الخ .

وأخشي ما احشاء هو ان يفرس جيل افشتمل بالتراث حاليا
ولا يحس من يحل محله . حقيقة هناك جهود في هذا الصدد من قبل معهد
المخطوطات ومن قبل مركز تحقيق سرائر في مصر ولكنها غير كافية لتكوين
جيل كفاء من المحققين كما ان العمل في مجال المخطوطات لا يتبر طموح
الشباب الذين يتجهون الى موضوعات ومجالات اهل واكثر تحقيقا للمشهرة
وللحسب المادي .

خطة شاملة للتراث

أرجوا ان اكون قد نجحت خلال الصفحات السابقة في إبراز أهمية
التراث وفي توضيح أن الجهود التي بذلت وتبدل في سبيله لا توصلنا الى
المقصود . فإذ كنت قد سمعت في هذا وأد كماله اقتضا بأهمية التراث
وضرورة العمل على تحديثه ، سأقار لسبيل أي ذلك وضع خطة شاملة له .
وان هذه الخطة تتعلق تفاصيل كثيرة وصفحات أكثر مما يسمح به الحيز
خاصة وقد مال البحث الى الطول .

لذلك اكتفي هنا بمرس ملامح هذه الخطة وأبرز قسماتها ، وأهم
الخطوات التي يمكن اتخاذها في هذا الصدد .

مركز القليمي ومراكز وطنية للتراث :

ان الخطوة الأولى في سبيل العمل على خدمة تراثنا هو انشاء التنظيم
الذي يمكن أن يهدف اليه بمهام التعميد . ان العلم والتعميد والبحث العلمي
أصبحت كلها الآن من مسؤوليات الدولة وخاصة في المجتمعات النامية التي

مسمى حيث يحو لعدم ، وما لم تخرج الدول الدمية المحطية وتكسر حواجر
لرأس سوف تستفاد عسوف من الدول ، ولذلك فلا يمكن أن تشير لدول
الدمية بمرحل انتدريجته المتطور بل من الضروري النمو بسرعة أكبر ،
هذا معناه أن المشروعات الدمية الكبرة محتاج أن أن تدفعها لدومه
معدات قوية وأن معقد بها في تنظيمات وحيث مدعها مالياً وبشرياً لأن
الاعتماد على الجهود والمبادرات الفردية في هذا الخصوص لا يمكن أن
يؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة .

ومما لا شك فيه أن تراث من المشروعات العلمية الهامة ولا يمكن
أن تكون مسئولة حبة أو هيئات قسمة في بلد واحد من بلدان العربية ،
بل هي مسئولة أصحاب هذا التراث جميعاً ، هي مسئولة كل السندول
لعربية وكل هيئات والسماء فيه ، وهذه لا يقتل مطلقاً من مسئولة كل
دولة من الدول العربية أو هيئات فيها بل أن المسئولية في الحقيقة هي
على مستويين

مستوى كل دولة بما فيها من هيئات علمية .

مستوى الوطن العربي كله .

وأن المسئولية الأولى تتكامل مع المسئولية الثانية في إطار خطة
وحدة متكاملة تعدد لكل بلد مسئوليته ونصيبه في هذا لعمل الصخم .
ونكتي يكون كلامنا أكثر تعديداً بقول أن الوطن العربي كله ينبغي أن
يشترك في إحياء التراث وحديثه ومن المهام والأعمال التي سرسم أطرافها
العام تحتاج إلى أشغال

المركز الاقليمي للتراث العربي

مراكز وطنية في كل دولة من الدول

خطوات العمل

أولاً : المسح الشامل

يقصد بالسج الشامل خطوة تمهيدية ولكنها في غاية الأهمية الغرض منها القيام بالتعرف على أماكن وجود المخطوطات ، وتنقسم هذه الخطوة برسل بعثات متكاملة من المتخصصين للقيام بسج شامل لكل مكان وجود المخطوطات العربية في أنحاء العالم سواء في المكتبات أو عند الأفراد في دول العربية أو الإسلامية أو الأجنبية ، ومن الضروري الأعداد الجيد لهذه البعثات وتزويدها أفرادها بالمعلومات اللازمة عن البلاد التي يزورها عن طريق الدراسة لما قد تكون أصدرته هذه البلاد أو صدر عنها من أدلة علمية عن المكتبات ومراكز البحث ، ونمى وخاصة مراكز التراث أو معاهد الدراسات العربية ، والأفراد العلميين .

وتتركز البعثات على الجوانب الآتية . -

١ - زيارة المكتبات لمعرفة عدد المخطوطات وحالتها وهل أعدت لها فهرس أم لا ، ومدى إمكانية الاعتماد على بحث المفسرين وهل يوجد مفسر مطبوع أم خفية وكيفية الحصول عليها ، وقيمة المخطوطات بعضها وهل تضم مخطوطات ثمينة بحيث تدفع في الاعتبار عند تحديد أولويات انحصار ثم الجمع على ما سيأتى .

٢ - تحديد من هم العلماء الذين يهتمون بالدراسات الإسلامية والعربية في البلد الذي يراد ، والذين يمكن الاعتماد عليهم في استعانة في مجال فهرسة المخطوطات أو غيرها من الجوانب المطلوبة فيما بعد .

٣ - محاولة التعرف على الأفراد الذين يقتنون المخطوطات في تلك البلاد ، ودراسة أماكن الحصول على مخطوطاتهم أو بعضها عن طريق الشراء أو التصوير وتكاليف كل من العمليتين .

٤ - التعرف على مراكز الدراسات الإسلامية والعربية في تلك البلاد ومعاهد المخطوطات بها .

٥ - التعرف على الباحثين الذين يهتمون بشر التراث سواء أكانوا هيئات أم ناشئين تجاريين .

وفي نهاية المرحلة السابقة سيكون الناتج أعداد أدلة تتضمن
المعلومات الموسوعة السابقة بحيث يمكن الاعتماد عليها في المراحل التالية ،
فيكون هناك دليل بكتيبات وفهارسها ، دليل بالأفراد المعمل ، دليل
بالاشخاص الذين يمشكون المخطوطات ، دليل بمراكز ومعاهد الدراسات
الإسلامية والعربية ومعاهد المخطوطات ، ودليل بالناشرين من الهيئات أو
الأفراد .

ثانيا : تفريخ الفهارس

تم في الخطوة السابقة تحديد المكتبات التي تغطي فهارس وأعداد
الدين بهذه الفهارس بعد هذا لا بد من الحصول على تلك الفهارس إما
باشتردها ، كانت مصنوعة أو بالتصوير إن كانت خطية أو مطبوعة حصة
خاصة .

وقد أصبحت الفهارس في حوزتنا لا بد من تعريضها على بطاقات موحدة
حتى تكون لدينا نسخة أصلية من سجل المخطوطات - ولا أقول فهرس
المخطوطات هذا السجل سوف يكون أساسا لعملية أو الخطوة التالية ،
وهي العصر . أما الفهرسة قسم بعد الحصول على المخطوطات أو نسخة
صورة منه حتى تكون الفهرسة دقيقة ومبسطة .

ثالثا : العصر

تعد بطاقات عصر بعض المخطوطات الأساسية التي لا غنى عنها من
المخطوطات ومن دراسة الأداة السابقة التي توصلنا إليها في الخطوة الأولى
يمكن تحديد المكتبات والأفراد الذين توجه إليهم هذه البطاقات . وتكون
المخطوطات المطبوعة واضحة ولا تخفى النص أو لتعدد بحث تملأ البطاقات
 بصورة آلية ، وحتى لا يحدث تكرار بين المكتبات التي تغطي فهارس
 فرغت في مسجل أن المطلوب في بطاقات العصر هو المخطوطات التي تدخل
 في الفهارس .

وعسما يشرع في التوجه بالبطاقات إلى بلد من البلاد يكون مسجل

مهام البعثة المروور على المكتبات لشرح المطلوب • ويمكن لافراد بعثة الحصر القيام بالعمل أو تكليف المكتبة المعنية به ثم المروور عليها مرة ثانية وبعد فترة مقبولة للحصول على البطاقات التي تكون انجزت •

رابعاً : الجمع

المفروض أن تنتهي الخطوة السابقة الى اعداد سجل حصر يشمل على المخطوطات العربية في كل مكان • هذا السجل سوف يخضع لدراسة متأنية ودقيقة من جانب العلماء لوضع خطة لعملية الجمع • وينتهي أن الجمع عملية طويلة المدى تحتاج الى وقت وإلى مال وإلى افراد - أي الى امكانيات كبيرة من جميع الوجوه • وينتهي أيضاً أن الخطوة توضع على أساس المتاح من هذه الامكانيات • بحيث يمكن كل سنة الحصول على عدد من المخطوطات أو سورها •

وتلاحظ دوائر المخطوطات ثلاث دوائر هي نفسها دوائر وجود المخطوطات :

— دائرة الدول الاسلامية •

— دائرة الدول العربية •

— دائرة الدول الاجتبية •

فالدول العربية لا زالت تحتفي مجموعات هامة جدا من المخطوطات ، وهي موجودة في المكتبات ولدى الافراد • ويتطلب الامر اصدار تشريع لجمع المخطوطات سواء تلك التي عند المكتبات أو الافراد • وينص هذا التشريع على تسليم المكتبات والافراد لما لديهم من مخطوطات الى المركز الوطني للتراث والذي يكون قد انشئ في البلد •

ويتولى المركز الوطني حين الحصول على المخطوط فهرسته وتصويره وارسال نسخة الى « المركز الاقليمي » حتى يكون الاخير نسخة كاملة من التراث جميعا •

أما الدول الإسلامية فهي تضم كذلك مجموعات هامة من المخطوطات مثل تركيا وإيران وباكستان . وهذه لن تقبل بطريقة الحال التخل عسا لديها . وهنا لا بد من عقد اتفاقيات تعاون ثنائي ينص فيها على التعاون في تصوير المخطوطات . ويمكن أن يكون ذلك من خلال التبادل فهذا أنفع للطرفين وأقرب الى الاستجابة حتى تكون المنفعة متبادلة .

ونفس الشيء يمكن أن يتم مع الدول الأجنبية .

ويقوم بالتصوير أيضا بعثات يتم الاعداد لها اعدادا جيدة .

خاصا : التنظيم

يتضمن التنظيم عناصر هي :

الفهرسة الوصفية : وتشمل الجوانب الوصفية للمادة المخطوط من مؤلف وعنوان وحالة مادة ، الخ . أي توثيق المخطوط .

التصنيف : ويتضمن تحديد موضوع المخطوط حتى يتسنى معرفة ما لدينا من مخطوطات في موضوع معين .

رؤوس الموضوعات : وتتضمن ترتيبا للموضوعات في صورة الفبائية ييسر الوصول الى المخطوطات في موضوع محدد .

وعناصر التنظيم هذه هي نفسها عناصر التنظيم بالنسبة للطبوع ، فيما عدا أن الفهرسة للطبوع تختلف من فهرسة المخطوط . إذ تتضمن الأخيرة شمولاً في الوصف لا يحدث عند فهرسة الطبوع . وهذا يتطلب وضع قواعد موحدة لفهرسة المخطوط .

أما العنصران التاليان فهما لا يختلفان ، لأن التصنيف ورؤوس الموضوعات يهتمان بالضمون ، وهو نفسه في الطبوع والمخطوط . وهذان العنصران جزء من مشكلة توفير المدخل الموضوعي التي اشرنا اليها للتراث الفكري كله وهي تتضمن توفير خطة عربية للتصنيف وقائمة عربية لرؤوس الموضوعات .

ويتم التنظيم بطبيعة الحال - وكما سبق أن ذكرنا - للمخطوطات وللنسخ المصورة منها فقط - أما تلك التي يشملها المركز فتوجد لها بطاقة في سجل العصر .

سادسا : النشر والتحقيق والخدمة

بعد توفر حصيلة من المخطوطات يمكن أن تبدأ عملية النشر . ولا شك أن اللجنة التي ستضع خطة الجمع ستراعى متطلبات النشر بحيث تجمع مخطوطات الكتاب الواحد مرة واحدة حتى يتسنى نشره وتحقيقه . وتتطلب عملية التحقيق والنشر وضع معايير لما يجب أن ينشر وتطبق هذه المعايير لوضع خطة لما ينشر كل سنة . ويستعان بدليل العلماء في تحديد أفضله لتحقيق كتب معينة . ويكون من مهام المركز الاقليمي وضع قواعد موحدة للنشر والتحقيق والخدمة يلتزم بها العلماء المساهمون ويراجعها المركز للتأكد من تحققها في كل حالة . حتى لا تخرج نشرات هزيلة لا يعتمد عليها علميا .

ويتضمن منهج النشر والتحقيق والخدمة ذلك الجانب الذي تحدثنا عنه وهو التكتشف وهو يدخل في باب خدمة النص من طريق تجليله . وليس فقط من طريق التحقيقات والتعليقات العلمية .

سابعا : ما حول النصوص

تتعلق الخطوة السابقة بالنص نفسه سواء من حيث الاقامة والشكل أو من حيث التعليق أو من حيث التعليق والتكتشف . وإذا كان الحصول على المخطوط ونشره غاية في ذاته إلا أنه كذلك وسيلة الى غاية أهم هي دراسة المحتوى الفكري نفسه . وهي الفرص النهائية من كل ما سبق . لأن مادة المخطوطات ستكون هي الأساس الذي نعتد عليه في كتابة تاريخ العلوم الاسلامية والعربية . وفي دراسة التراث الفقهي . وفي البت في القضايا المعاصرة . الخ . وهذا يتطلب مجسوعات ضخمة من العلماء كل في فرع تخصصه حتى تكشف عن كل الجوانب السابقة ولا يكون هناك أي جانب من جوانب حياتنا الفكرية لم يدرس ولم يكشف عنه .

والآن وبعد ان حددنا المهام والخطوات المطلوبة ، أرجوا أن يكون قد اتضح ثقل المهام وأنه لا بد من إنشاء المركز الاقليمي والمراكز الوطنية للتراث . كما أرجو أيضا أن يكون دور كل قد اتضح . فالمركز الاقليمي يتولى التنسيق ووضع الخطط ويحدد لكل مركز وطني مهامه ونصيبه في عمليات التنفيذ . كما يقوم بالعمليات التي تحتاج الى التوحيد . مثل وضع التشريعات ، ووضع قواعد موحدة للفهرسة وقواعد متعددة للنشر والتحقيق والخدمة، ووضع الخططة العامة للجعب والنشر، ويشرف على وضع معايير اعداد المشتغلين بالتراث . ويدهي أن هذا يتطلب أن تكون له مجلته ومطبوعاته . ويدهي أيضا أنه سيحتفظ بكل انواع الفهارس والسجلات والادلة ، وينسخة مصورة من كل مخطوط حتى يكون مقصدا للباحثين .

وبعد فهذه دعوة الى البحث في قضايا التراث . ودعوة الى الاهتمام به والعمل على خدمته والدعوة موجهة الى كافة الهيئات العلمية في وطننا العربي . وقد تصلح هذه الدراسة أن تكون ورقة عمل لمؤتمر يعقد لدراسة التراث العربي . وأن تكون المسائل التي عرضتها فيها هي رؤوس موضوعات لما يجب أن يبحث مثل هذا المؤتمر ، الذي يمكن أن يعدد الخطوات العملية لتحقيق المقترحات السابقة وأن يعمقها ويبحث تفاصيلها .

ووطننا العربي - بعمد الله - غني بامكاناته ، غني ببيئاته العلمية، غني بأرادة الخير فيه . غني بحب تراثه والحرص عليه . ولعل هذا كله أن يكون دافعا للاستجابة والتنفيذ .

والله من وراء القصد . وهو نعم المولى ونعم النصير . . .

دكتور عبد الوهاب عبد السلام ابو النور